نحو ضوء هارب

(أنا) الإبداع التائهة

فالح حسن

الثقافة، بالمفهوم الغربي، تعبير يشمل الفنون والتمظهرات الأخرى لإنجازات الفكر الإنساني منظور إليها بصورتها الجمعية. وهذه الصورة، نسق system، يتشكل من الأعراف والمؤسسات الاجتماعية وإنجازات امة معينة، أو شعب أو جماعة.
والاسم culture في الإنكليزية مأخوذ عن الفرنسية (في القرن ١٧)، أو مباشرة عن اللاتينية (= cultura) إنماء الأرض، أو حرثها)، والفعل عن الفرنسية القديمة culturer أو اللاتينية الوسيطة culturare، وكلاهما قائم على اللاتينية (colere حرث ارض، واستنباتها، ورعايتها).

بوسعنا الاستنتاج فورا أن دلالة "الإنماء"، و"الإعمار"، و"الحرث"، تطل مع معنى الثقافة. ولا شك في أن هذا هو مجال "الفاعلية" activity بامتياز، ولا إمكان فيه لأية "سلبية" passivity. فهل نقول إنه معنى "الحياة"؟
هذا التعريف العام، "ثقافة"، لا يقتصر على مجموعة اجتماعية دون أخرى. عليه، هناك "ثقافات" متنوعة بتنوع الجماعات البشرية في كوكبنا.
لكن تعبير "مثقف"، في المجال الغربي العام، يكتسب "خصوصيته" من قيمة نشاطات إنسانية مميزة. من هنا ربما، يستخدمون تعبير (intellectual الشخص الذي يتمتع بملكات فكرية عالية، أو عقلية بارعة، إنه ال"مثقف". وهنا نؤكد على أنهم لا يخصصونها في مجال معرفي معين). وهذا التعبير، أي intellectual، مشتق من intellect، التي تعني الفكر أو العقل؛ أي ملكة الاستدلال أو الفهم الموضوعي، ويشكل عائلة مع تعبير intelligence المأخوذ عن اللاتينية أيضا (فكر، أو عقل، أو ذكاء).
وتزداد درجة الخصوصية لدى استخدام تعبير (intelligentsia الانتلجنسيا)، الذي يستخدم للإشارة إلى الجمع والمفرد، فهو ال"مثقف" intellectual الحاصل على تعليم عال، بوصفه "متمتعا بثقافة culture وتأثير سياسي". وظهر تعبير الانتلجنسيا هذا في القرن العشرين، واستعارته ألسنة العالم من الروسية intel-ligentsiya، التي استعارته بدورها من البولندية inteligencja، التي أخذته عن اللاتينية intelligentia، وهو اصل كلمة intelligence في الفرنسية والإنكليزية، التي تعني، من بين معانيها الأولى، القدرة على اكتساب ومزاولة معرفة ومهارات معينة.

هنا لعلنا نتوصل إلى أن الألسن الغربية تربط تعبير "مثقف" intellectual و"انتلجنسيا" intelligentsia بالملكة الفكرية الاستدلالية، ولا تشير إلى صاحب هذه الملكة بـ"مفكّر"، ببساطة لأن الأخير ينتمي إلى نشاط معرفي أكثر تخصصا، فتشير الفرنسية إليه بـ"Penseur" والإنكليزية بـ"Thinker"، مثلما تشير إلى "روائي"، و"مسرحي"، و"شاعر"، ...الخ.
ربما نصل، من خلال هذا التقديم البسيط، إلى القول بأن ال"مثقف" intellectual كيان خاص داخل "ثقافة" culture أمة معينة، وهو بهذا "احد" العناصر التي تشكلها وتمايزها عن غيرها.
على هذا، تتميز "فئة" المثقفين. كي لا نقول "طبقة"، و/أو الانتلجنسيا، بتوافرها على معرفة معينة أو مهارات، ومزاولتها بطرق "عقلية"، و"منطقية"، (وأي شكل أدبي مثلا له منطقه الذي يحكم إنتاجه ويخرجه بـ"شكل" معين). على أن ميزة هذه الفئة المميزة هي "الفاعلية" activity المشدودة دوما إلى "البناء، والإنماء، والحرث". ونزعم أن هذه الخصائص هي التي تشكل تفردها بوصفها "انتلجنسيا"، بالمعنى الحصري. بهذا الفهم، ال"ثقافة" منظومة معرفية تفرض نفسها على سلوك "المثقف"، أو "الانتلجنسيا". إنها نشاط اجتماعي فاعل بامتياز.
أما في ما يخصنا نحن العرب، فليس لدينا هذا التمييز بين التعابير الثلاثة.
فـ"ثقافة" و"مثقف" تعبيران ينتميان، لدينا، إلى جذر لغوي واحد. وتلتبس في استخداماتنا تعابير من قبيل "فكر" و"ثقافة" و"أدب" و"نقد"، (مثلا، تعرف مجلات نفسها: "مجلة ثقافية، سياسية، فكرية"، وربما أضيفت إليها كلمة "عامة"!).
تسليمنا للجذر اللغوي الواحد، جرّ غموض تحديد خصائص ال"مثقف" ووظيفته وغياباته في المجتمع حيث يعيش. فقد اختلط، ابتداء، مفهوم ال"ثقافة" بـ"السياسة". بل تلفع هذا المفهوم في مراحل تشكل اصطلاح "ثقافة"، في مطلع القرن العشرين، برداء ال"أيديولوجيا"، لما اقترنت بالمدّ الماركسي، في مشرق المنطقة العربية. ولربما لهذا شاع تعارض ال"ثقافة" مع "الدين"، و"الأعراف"!
تشكل لدينا تصوّر "كاريكاتوري" عن ال"ثقافة"، التي تسلمنا كلمة واحدة بلا وظيفة، بالطريقة نفسها التي تشكلت فيها صورة "كاريكاتورية" لدى الغرب عن منطقتنا بفعل الاستشراق التقليدي. ذلك أن مفهوم ال"ثقافة" تشكل لدى الأوساط المتعلمة العربية مقترنا بالمقولات الماركسية أو اليسارية؛ وهذا ما أحدث قطيعة مفاجئة مع ماضي مجتمعاتنا الطويل، الذي كان بعيدا عن التحولات الفكرية في العالم وحواضنها المتنوعة المتبدلة. وحلمت المجتمعات التي استقبلت الماركسية بحفاوة، بانقلاب يطول البنى السياسية والاجتماعية كلها على منوال الأنموذج "السوفييتي". ولعل الوضع السوسيوسياسي، الذي حكم مجتمعاتنا، يتحمل الوزر الأكبر في ذلك. وحتى الترجمات كانت لنصوص يسارية أو "موازية" لها، لا تخلو من ملامح أيديولوجيا سياسية (غوركي، ومايكوفيسكي، ولوركا، ونيرودا، وايلوار، واراغون، وجورج امادو، وناظم حكمت). ولا أدل من وصف الشعر الحر بـ"الأحمر"، من جانب مناهضيه المؤدلجين هم أيضا، على استبطان الايديولوجيا السياسية للنشاط الثقافي.
هكذا تقدّمت ال"ثقافة" وسيلة خلاص سياسية. وجاء سقوط الملكية في العراق ليبارك التحام ال"ثقافة" بـ"السياسة"، بل بـ"الشيوعية". ونشد المثقف دورا سياسيا حاكما. وتعاملت الحكومات الانقلابية المتتالية معه، وال"مثقفون"، على انه كذلك.

(لعل الحجة الأكبر في عدم رسوخ مقولات اليسار باعتبارها "ثقافة"، وتأكيد استبطان الحزبية السياسية لها، هو أنها لم تدم بوجه عتو الديكتاتورية، حتى نكاد نجزم أن اليسار الثقافي تبدد باغتيال ثورة العام ١٩٥٨، ولم يك بعد ذاك سوى ذكرى مقترنة بال"شيوعيين"، الذين آلوا هم طبعا إلى ذكرى).
وبعد خفوت الماركسية السوفييتية (ومعها الماركسية الأوروبية، المختلفة معها، لكنها المحكومة بشروطها) في بواكير السبعينيات، وتحطم "اليسار" على صخور ديكتاتوريات العسكرتاريا، ظل مفهوم ال"ثقافة" ملتصقا بـ"الشيوعية"، و"الشيوعيين"، أو في الأقل بال"متمردين"، أو ال"حالمين"، أحيانا، ولربما لم ترتفع نظرة السلطة، والناس، إليهم، على وصف "مثيري متاعب". فتشكلت علاقة خوف وارتياب بين السلطة والمثقف؛ إذ استقرت صورة "الشيوعي" - المثقف - المُهدد - في أذهانهم، وحكمت سلوكهم إزاءه، ولهذا كان ال"مثقف" يسير في ممرات انتصبت على جنبيها شفرات قاطعة أليمة، فابتعد عن مشروعه الذي يفترضه مفهوم "مثقف".
بعد ذاك، تقدّمت ال"ثقافة"، بفعل البيئة السوسيوسياسية، على أنها "قراءة وإطلاع" و"إنشاء". فظن "القارئ الجيد" انه "مثقف". وظن "الطالب الجيد" انه مثقف.
على أية حال، استمرت طريقة تلقي التيارات الفكرية والمقولات الأخرى، بل حتى مناهج الدرس والبحث، على غرار ما جرى مع اليسارية. إذ استقبلت الوجودية على أنها "أيديولوجيا"، أو كادت، والحال نفسه مع البنيوية (على أن هناك بنيويات). كان الأمر يبدو في كل مرة وكأنه لا يخرج عن دائرة "اليقين"، في حين أن الأفكار في هذه الأرض هي "ريبة"، أو من جنسها. ويزول كل تيار أو معرفة بـ"استقبال" أخريات جديدة، بقطيعة لا مسوغ "ثقافي" لها لدينا.

هناك سياق "ثقافي" عام يشتغل كحاضنة طبيعية تنشأ فيها منظومة، أو مقولات فكرية معينة، وتحدث "القطيعة" من خلال سيرورة تحكمها شروط ذلك السياق نفسها، (ففي حين تقدّمت "الوجودية" إلينا مع "سارتر"، كانت في الغرب تجد جذورها عند "كيركيغارد"، والأخير من ورائه تراث لاهوتي واسع). ولم يتطور الاهتمام بـ"القراءة" وصياغة نظرياتها، إلا بعد أن عانت المقاربات البنيوية من بعض الاختناقات، على حد تعبير الأكاديمي الفرنسي فانسون جوف، في أواخر الستينيات ومطلع العقد السبعيني.
والحال هذه، لعل الماركسية، والوجودية، والبنيوية، والتفكيكية، الخ... في ال"ثقافة" العربية، المشرقية تحديدا، كانت مجرد "تمظهرات مبتسرة"، أو "ظل نُسَخ" لحركة تلك المنظومات في سياقات مجتمعاتها التي أنتجتها. إنها تسجل تاريخها لدينا، ولا نصنع، نحن، تاريخنا فيها. فهي ابتدأت هناك وتطورت وانقطعت، فهل مرت تلك المنظومات الفكرية بالمراحل نفسها لدينا؟
وحتى قراءة التاريخ العربي الإسلامي جاءت نسخة سيئة عن الدراسات الاستشراقية (دوزي، وفان فلوتن، وبراون، وفلهاوزن، وبروكلمان، وفريدلندر، ونولدكه، وبرنارد لويس، وكايتاني، وفيشر، الخ)، فبعض أولئك كان يعمل بمشاريع طموحة، لكن غالبية المتعلمين العرب لم يطوروها، أو في الأقل يستكملوها — ومثالنا هنا مشروع المستشرق الألماني فيشر—، فالايديولجيا، مرة أخرى، كانت تحكم تلقي نتاجاتهم.
ربما ألفى المثقف نفسه لدينا، بعد انسلاخ الماركسية عن الثقافة، كياناً عاطلاً، أو معطّلاً. لأنه لم يعرّف وظيفته، ولم يسع إلى تأصيل، أو تكييف adaptation، ما تلقاه ليصيّره "ملكا له"، "ثقافة" خاصة به، في سياق حركة المجتمع ليكون لها مراحل تطور طبيعية.

قال أن حرب الخليج لم تقع!

وفاة مفكر ما بعد الحداثة الفرنسي جان بودريلار

ترجمة: نجام الجبيلي

*ثلاثية ماتريكس السينمائية والمفكر الفرنسي
*اذا بدت النصوص غير مفهومة فذلك يعني انها لا تعني شيئاً بالضبط

توفي في باريس الناقد الفرنسي المثير للجدل جان بودريلار(٧٧ سنة) الذي كانت نظرياته عن ثقافة الاستهلاك والطبيعة المصنعة للحقيقة قد نوقشت بصورة مركزة في الدوائر الفلسفية النخبوية والأفلام الضخمة مثل " ماتريكس" (The Matrix).
وأعلن عن وفاته ناشره " ميشيل ديلورميه" مدير دار نشر " غاليلي" التي جاءت نتيجة مرض طويل.
كان السيد بوديلار هو الأول في عائلته الذي يدخل جامعة وأصبح عضواً في جماعة صغيرة من المفكرين الفرنسيين المعروفين والمؤثرين الذين حققوا شهرة عالمية على الرغم من صعوبة عملهم وكثافته.
إن السيد بوديلار هو مؤلف لأكثر من ٥٠ كتاباً ومصور فوتوغرافي بارع وقد تجول بين موضوعات مختلفة من العرق والجنس و الأدب و الفن و حادثة ١١ / ٩ . وقد أثارت تعليقاته الكثير من الجدل، مثلا حين قال في عام ١٩٩١ بأن حرب الخليج " لم تقع" – مشدداً على أنها حدث أعلامي أكثر منها حرباً.
وعدّ السيد بوديلار مرة كونه مرشداً ما بعد حداثوي ، لكن تحليله للحياة المعاصرة كان من الأصالة والحساسية (الخصوصية) بحيث أنها لا تناسب أي تصنيف نظري. يقول فرانسوا بوسنل رئيس تحرير المجلة الأدبية الشهرية " ليريه" :" كان من الصنف الممتاز ، فهو لم يختر أطرافاً ، كان مستقلاً جداً".

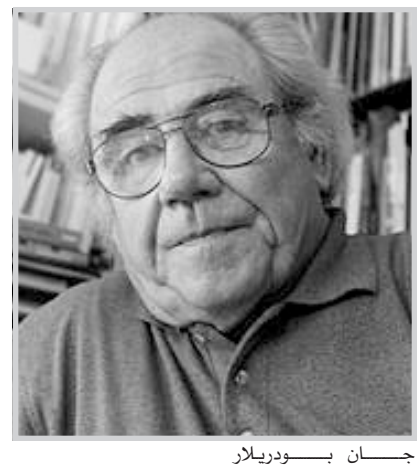
جان بودريلار

بوجهه المدور ونظاراته السودا الكبيرة السميكة كان السيد بوديلار معروفا بأقواله المأثورة وسخريته السوداء. وقد وصف الطوفان الحسي للحضارة الإعلامية المعاصرة كونها " وجد (نشوة) الاتصال".
إن إحدى أفضل نظرياته المعروفة تفترض أننا نعيش في عالم حلت فيه الإحساسات والتجارب الزائفة محل الشيء الحقيقي. إن هذه " الحقيقة المفرطة المغرية حيث تسيطر مراكز التسوق وحدائق التسلية والصور المنتجة على نطاق واسع من الأخبار وبرامج التلفزيون والأفلام، مفرغة من الموثوقية والمعنى. وبما أن الوهم مسيطر فهو ينصح الناس بأن يكفوا عن البحث عن الحقيقة.
وقد أخبر جريدة " نيويورك تايمز" في عام ٢٠٠٥ " بأن كل القيم محاكاة. ما الحرية؟ هل لدينا خيار بين شراء سيارة أو شراء سيارة أخرى؟ إنها محاكاة الحرية".
وقد التقط هذه الفكرة صانعا الفيلم الأمريكيان أندي ولاري واتشوسكي اللذان ضمنا إشارات رائعة للسيد بودريلار في ثلاثية " ماتريكس". في الفيلم الأول من السلسلة " ماتريكس " 1999 – يفتح بطل الفيلم " نيو" –وهو هاكر كومبيوتر- كتابا للسيد بوديلار " المحاكاة وصور المحاكاة" الذي يظهر أنه محاكاة أو زيف لكتاب مفرغ ليحمل أقراص كومبيوتر. وقد أخبر السيد بودريلار فيما بعد صحيفة التايمز بأن إشارات الفيلم لكتابه " نشأت على الأغلب من سوء الفهم".
وكان أيضاً ناقداً شديداً لثقافة الاستهلاك التي فيها يشتري الناس الأشياء ليس بسبب الحاجة الحقيقية بل بسبب الحالة والمعنى اللذين يضفون عليها.
ولد بودريلار في "ريمز" عام ١٩٢٩ ودخل فيما بعد جامعة في باريس وحصل على الدكتوراه في علم الاجتماع بينما كان يدرس الألمانية لطلبة الثانوية. ونشر كتابه الأول عام ١٩٦٨ بعنوان " نظام الشيء".
في عام ١٩٨٦ نشر نوعاً من الكتابة المصورة عن الرحلة بعنوان" أميركا" وفيها كتب:" أميركا هي النسخة الأصلية من الحداثة" مشيراً إلى ما اعتبره التضبيب الكامل تقريباً للحقيقة واللاحقيقة. وقال لقرائه الفرنسيين:" نحن نسخة بعناوين فرعية".
تقاعد في عام ١٩٨٧ من جامعة باريس العاشرة / نانتريه وكرس نفسه فيما بعد لكتابة تعليقات لاذعة وتطوير النظريات الفلسفية. وعلى الرغم من أنه نأى بنفسه عن أغلب وسائل الإعلام إلا أنه كان يكتب بانتظام في الصحف.
نشر كتابه " روح الإرهاب: قداس للبرجين التوأمين" بعد سنة من حادثة ١١ أيلول. وفيه شدد على أن المتشددين الإسلاميين حاولوا أن يخلقوا حقيقتهم الخاصة؛ والمشهد الإعلامي الناتج سيعطي الانطباع بأن الغرب كان باطراد تحت تهديد الهجوم الإرهابي.
قال للتايمز أن الوجود الأمريكي الحالي في العراق هو محاولة لوضع " بقية العالم داخل المحاكاة لكي يصبح العالم حيلة كاملة و نحن ذوي قدرة رهيبة. إنها لعبة".
ومثل بقية مابعد الحداثيين الذين كان يزاملهم في أغلب الأحيان (على الرغم من اختلافاتهم) فقد وجه إليه النقد بصورة مستمرة كونه غامضاً.كتب ألان سوكال وجان بريكمون في كتابهما المنشور عام ١٩٩٨ بعنوان " الهراء الحديث: عداء مفكري ما بعد الحداثة للعلم" إذا بدت النصوص غير مفهومة فذلك يعزى للسبب الممتاز بأنها لا تعني شيئاً بالضبط".

عبد الأمير علوان..الذاكرة وتدوين الإحساس

متابعة :أسراء كاظم طعمة

يقترب من معرض آخر في المهجر وعلى صالة العرض الفنية العراقية (دربونة) في العاصمة الاردنية / عمان خلال نيسان القادم- (المدى) التقت بأعمال الفنان قبل العرض لتسجل مدوناتها عن الاعمال.....
عبد الامير علوان ذلك المشاغب بترو يدون أحساسه بالصدفة.. يقتنص لحظات هاربة لغياهب الخيال .. يبتكر لنفسه منهجاً فنياً فأكثر مايخيفه تكرار المحاولة، يخطو مدندناً.. آه ياوجعي فلاجعل منك ترنيمةُ ولحناً وروحاً.. تلك الروح التي نبصرها بعمق وشغف على أديم لوحاته.. تساؤلات عن وجع ماض وآخر آت...
علوان، يحاول جاهداً ان ينتفض من بوتقة السطحي في الشكل الى الاغناء والثراء في المضمون وكأنه يكتب سيناريو لحكايات لا تنتهي من حزن وذهول لما آلت اليه الروح الانسانية في زمن الخراب والعدم.... جل إعماله يكتنفها مضمون واحد لكن عوالمها واسعة وبلا سماوات.. اذ انه اختار الانسان ليكون الملهم والهم، باحثا ومتعقباً عن عوالمه، واسراره في لحظات الوجع والحنين والمعاناة، انه لا يكتفي بتدوين الاحساس الذي يباغته في زمن الانجاز، بل يعاود السفر في مجهول اللوحة محاولاً ان يضيف بكل ما يمكن ان يغني العمل ويوصله الى الكمال..
عبد الامير علوان في معرضه الجديد... ينهض بواقعيته الى الاختزال في (الاشكال) حتى ألوانه يتجلى فيها حس آخر، فالالوان الصريحة ما عادت تبوح بمضمون الرغبة الدفينة لديه والنية التي تقود العمل... في مجموعة ما من أعمال المعرض، يؤكد عبد الامير رغبته في مداعبة التجريد والحداثة ولكن بوعي وذوق، لان لديه حرصا مفعما بالاهتمام على مسيرة الواقعية التي قطع فيها اشواطاً كبيرة توالت على مدار ما يناهز الثلاثين عاماً، أنجز خلالها العديد من المعارض داخل الوطن وخارجه... هو يضع قوانين الفن تحت امرته ليحول الفكرة المجردة ويترجمها في لون وشكل ناطقين بالعلة والدلالة.. والاختزال يعود الى الزخم الفني العميق والتجارب الحسية لمدلولات الامور.
ما يميز جمالية عبد الامير علوان.. انها تجانس وبرهافة واضحة بين جمالين، الأول لروح العمل ومغزاه وتعبيراته الذوقية والحسية والادراكية، والآخر يتجلى بالاتقان الاكاديمي في الانجاز... ويمكننا القول انه واحد من الذين رفضوا الانضمام الى قافلة الرسم للذات فقط والاختباء في علية الأنا الواحدة.... بل هو على النقيض من ذلك تماماً.... أعماله تكشف عن فنان جل همه ان يشاطره الآخر الفكرة والفهم، وهو يسند للمشاهد الدور الأكبر في اكتشاف إيحاءات العمل الفني ودلالاته والتحاور مع الذات الإنسانية ولكن بواقعية يفهمها القاصي والداني...
شخوص اعمال المعرض الآتي لعبد الامير علوان والتي تربو في عددها على الأربعين عملاً ... شخوص مستقلة وفردية لاينافسه آخر... لكل لوحة شكل واحد تسرد حوله الحكاية، وتسخر فضاءات العمل لتمكينه من الاستقلالية تلك، ربما ذلك يعود الى رغبة واضحة من الفنان في الاسترسال بكامل الحرية ولاستثمار فضاء اللوحة وأعطاء اللون المزيد من سماته البصرية وادراجه اكثر في مضمون العمل بدلاً من حياديته كمجرد لون.
عبد الامير علوان في المعرض القادم يدور في ذات الفلك ولكن هذه المرة بتجلي وخيلاء المغترب، فبعد هجرته من العراق أزداد قرباً وعشقاً لترابه... أنه يمتطي الحلم ليبحث عن واقع... ربما يأتي أو لا... لايهم.. همه الأوحد انه مازال حالماً...

قصة قصيرة

ضوء في الأعالي

منال السيد

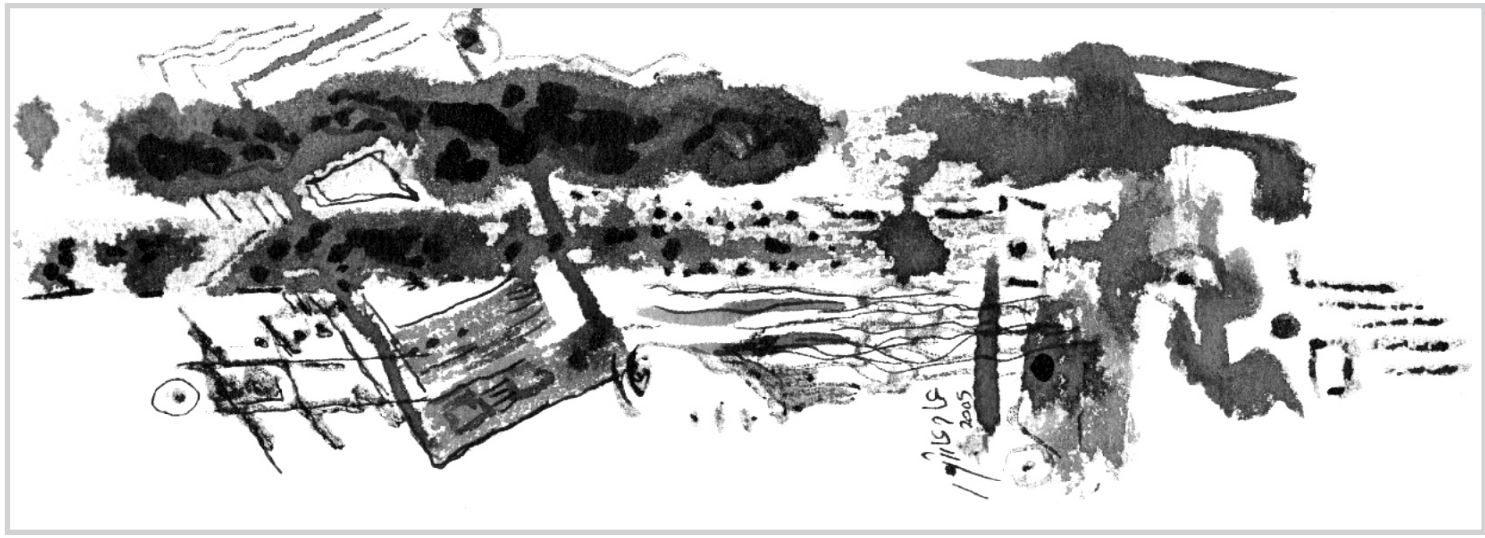
تخطيط لـ عماد عاشور

– لاشيء..
الجسد يتنفس بطريقة خفية، الهواء يدخل الى الأنف ويخرج في ذات اللحظة، دون اختراق للصدر، يحدث ذلك يومياً .. وببطء..
– ما الذي بقي إذن..
أصلاً انا لا اطيق الشكوى من ذات الشيء اكثر من ثلاث مرات، بعدها يجب ان اكف حتى وان تحولت عن ذلك الى الشكوى من شيء آخر.
فكيف تحملت ذلك؟
وبذات الطريقة في كل مرة.. يبدأ الومض بعد آخر نقطة ماء تغسل جسدي من دماء الحيض، أعطر الجسد وادخله في ملابس زاهية، أخطو على البلاط وأنبض، يأخذني زوجي بين ذراعيه برفق وتؤدة وكاننا نتحاشى الخطأ هذه المرة- في كل مرة نحاول ان نتحاشى خطأ لا نعرفه- نحاول ان يكون هناك شيئ جديد، أعطيه الجسد بالكامل واسكن لحظة انسكاب مائه، أنظر لسقف الغرفة وانصت لنبض غامض.
يبدأ في البزوغ
أقول في نفسي (هذه المرة لن اصدق فهو نبض بلون الماء الذي يبدو في آخر نظرة العين، حيث الريق غائب والجلد يحن لبلل، والصحارى حول الواحد تضحك بلا صوت وتغربل رملها امام العين).
ثمانية وعشرون يوماً بالضبط.. ما هذه الدقة..؟
صرت ألغي اوراق النتائج على الحائط، أسماء الايام والساعات ونشرات الاخبار ومواعيد المسلسلات، ألغي كل شيء واتابع تقويمي الخاص.
والحلم يبدأ في اليوم الاول بعد رحيل الغول الاحمر ذلك الذي يأكل صوت النبض القديم فيما يعاود الظهور ثانياً وقد ارتدى رداء خبيثاً من التخفي فأقول بل هو شيء جديد تماماً، سينمو، وسأظل أخطو على بلاط الدنيا وسلالمها وطرقاتها، أخطو على الارض بطولها وعرضها وأتيه بوزني الذي يزداد وبطني المنتفخ كمنطاد كبير وصدري الذي يتحول الى ما يشبه وسادة منتفخة، يزداد وزني وأخف، أخف وتصير الخطوات الافقية رأسية بالتدريج، هكذا، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة.
يا ..ه
الروح تنقسم .. اثنين.. والدماء اثنين.. القلب يصير قلبين، وفي عمق الظلمة تنبت عيون صغيرة، تنبت مثل زهرة وسط أخضر كثيف.
ثمانية وعشرون يوماً، اتابع تجمع النبض، يشع ضوء. يتجمع اسفل البطن واسفل الظهر، شمس يدور حولها جسدي وعيوني تتلصص علي استدارتها، أتابعها، أقول في خفوت هو شيء جديد، حقيقي، ستتشابك الدماء الدقيقة وتصنع أشياء متناهية الصغر، (لابد من انه الآن في حجم حبة الذرة).
أظل أتابع تحركات الحبة أهيئ صدري لصغر له ملمس الزهور، أفكر في اسم يليق، وملابس تليق ومدرسة تليق وطريقة في حمله وتهدئته وتقبيله واحتضانه، طريقة تليق.
احمل الصخرة من اليوم الاول واصعد بها متجهة للنور، اصعد، العرق يتساقط والجسد يخف، لا أقدام لي ولا رأس ولا أذرع، اصعد أهيئ عيني لوهج في الأعالي، وصدري يتخيل طعم الهواء الصافي، أحمل الصخرة ولا اشعر بثقلها، والايام تمر ببطء النمل ونظامه أيضاً وفي الليالي الاخيرة أرى الحلم يستحيل لفافة لدنة تتحرك بين يدي وفي قلبي ينبت رعب حقيقي من قدوم كائن يشبه الموت، يخبط ظهري وبطني ويعطي اللفافة لاناس آخرين..
صرت أكره ذلك اللون، أكره الأزيز الذي يسبقه، خبط أسفل الظهر شيء يمتص من الركبتين وانتفاخ كاذب بالصدر، تتشبث يدي بالصخرة ويقول القلب هي حركات عادية لحبة الذرة، ساعتها لا أسمع صوت زوجي ولا الناس ولا حتى أصوات الاحلام، فقط انصت لصوت النبض واحلم بمرور اليوم الثامن والعشرون، أقول لو مر ذلك اليوم فسيموت الموت، وستكبر الحبة وسيملأ البيت بالجلبة والجمال..
– دائماً..؟
– يأتي الأمر بغتة..
أبعد ملابسي قليلاً لأرى دائرة في لون الجحيم واحياناً تشبه قوس ابتسامة وسخرية وغبار ورمال وريق يغيب وشفاه تغلق بعد غياب صورة الماء البعيد فيما يثقل الجسد الخفيف تنزل من الاعالي تنزل ببطء، حقيقي، وقسوة.